والتحوّل السوسيولوجي في العالم العربي

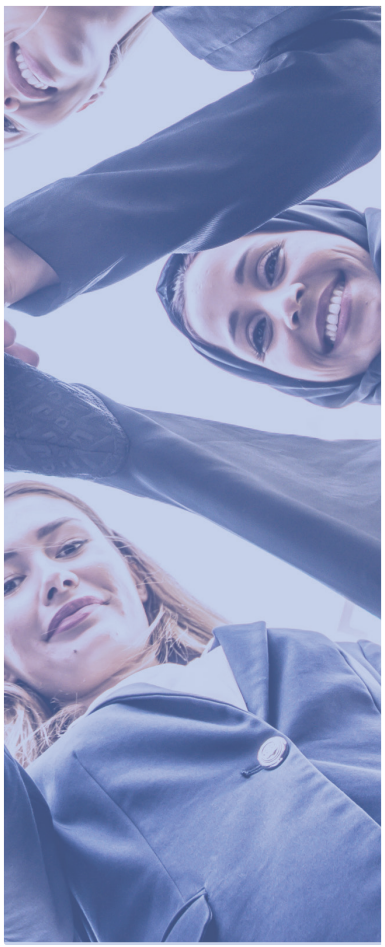

بصرف النظر عن تفاصيل التفاوتات بين بلد وآخر، ومنذ أواخر عام ٢٠١٠، شهد العالم العربي في عدد كبير من البلدان، استحالات كان لها من الحدّة والعمق والسرعة ما حوّل بعضها إلى «انتفاضات» و«ثورات» أحيانا، وحروب أهلية أحيانا أخرى، وأشكال أخرى من الانتقال السّياسي متفاوت العمق بين تأصيل ديمقراطي غالب، وبعض زيادة في ترسيخ الاستبداد. ومن داخل هذا المشهد العام، برزت ملامح تنبئ عن تغيرات عميقة في الحياة الاجتماعية العربية على مستويات مختلفة منها؛ تغيّر في أنماط الحكم، وإعادة صياغة للدّساتير، وتوسّع (مقابل بعض المزيد من التضييق) في الحريات العامة والخاصة، وتنظيم جديد للتّداول على السلطة، وتغيّر في أساليب فعل الحركات الدينية السياسية، وعلى رأسها الحركات السّلفية التي بادرت إلى الانتقال إلى مرحلة بناء «دولة الخلافة»، على ما تقول. وفضلا عن ذلك، أمكن للملاحظ أن يسجل خلال الثماني سنوات الماضية، وفي عدد كبير من الأقطار العربية، بروز حركات اجتماعية على صيغة نضالات مطلبية واحتجاجية، وتظلّمات، منها الجهوي والطائفي والإثني، أو على صيغة حركات شبابية غير حزبية وغير أيديولوجية، اتخذت شكل الحملات السياسية والمدنية والحركات الثقافية والفنية. وعلى الرغم من التركيز غير المتوازن إعلاميا، وحتى بحثيا على السياسي (في معناه السلطوي والتمثيلي البرلماني على الأخص) والحضري والنخبوي، والكهل والرجالي في كل ذلك، فإن تفاصيل المشهد بالغة الغنى، تجيز أن نحسب كل هذه المظاهر علامات على ما نسميه «تغيراً اجتماعياً»، هو أكثر عمقاً وجذرية مما يصوره الاتجاه السائد، إذ صار على مرّ ما يقارب العشرية التي امتد عليها إلى حدّ الآن، ذا مساس بأنماط العيش المدينية والقروية والريفية، وذا أثر في إعادة بناء الهويات، وإعادة تشكيل سردياتها التاريخية.

ولم يكن المجال العلمي الاجتماعي بمنأى عن هذا التغير الاجتماعي الشامل، حيث توسّع نطاق حرية الحركة البحثية، ونشط

لم يكن المجال العلمي الاجتماعي بمنأى عن هذا التغير الاجتماعي الشامل، حيث توسّع نطاق حرية الحركة البحثية، ونشط النشر العلمي